

الشرق

تفكّمت الأذهان

في تعريف ثلاثة اديان

لمضرة الاب العالم والباحث المتفنن انتاس الكرملي البغدادي

ان من تفكّدت اديان الشرق نمّا يقف عندها منذهلاً تماماً يرى من كثرتها واشتباك شعبيها وهي قد ضربت اطناها فيه منذ عصر طرزال خوال. ومع ما تشاهد من تعددها وتنوعها لا تجد من قام برصعها وذكرها من ابناء هذه البلاد قرّ في حثها من التفاصيل التي تجدر بها. واذا وقت على من طرّقا هذا الباب في المائة المنصرمة من الناطقين بالضاد وجدّتهم كلهم صحفيين اي قد اخذوا عنهم عن الضحّف لا عن استاذ او خير او شيخ او ما ضاهى ذلك. واغلب كتيبة هذه الصحف الأجناب وهو لا آتما يكتبون عن أهالي قواصي البلاد كتابةً يتقصها التبخر والاستقصاء. اذ انهم يدوتون كل ما يتلقونه عن فم هذا وذلك فيجمعون بين الفث والسين وبين القرض والقضيض وليس لهم وقت يتفرغون فيه للتمرد في الحقائق والقرص في بجارها الزاخرة لاستخراج لآلتها الفاخرة. وما ذلك الا لانهم يأتون هذه الربوع بمنزلة السباح والرواد او الرّحل ولا ترد على هذا القدر ويكاد لا يقيمون بين ظهراني اصحاب تلك البلاد الا بقدر نغية طائر او طرفة ناظر بالنسبة الى ما يجب عليهم ان يكتبوا مثل هذه الامور الخطيرة. الا انه يشذ عن هذه القاعدة ما تحطه ايدي المرسلين فانهم لا يتحررون بحثاً الا ويدققون فيه النظر

ويعنون في استعصاء حقيقته وينهجون فيه نهجاً قويمًا. ومن العجب اننا لم نر من العجم
والعرب من تعرّض للكلام عن ثلاثة اديان قد ضربت بجوانها في ولاية الموصل وهي
ديانة الصارلية والباجران والشبك مع انها من الترابة بمنزلة رفيعة. هذا وانى ران لم
اطأ تلك الديار الا انى شافهت واحداً من ابناء تلك الاقطار وقد طوى بين أظهرهم
٢٥ سنة متاطياً مع اصحاب تلك الشيع ضروب الاشغال فوقف على دينة امرهم
ولذلك تحفّيت في السرال عن اصحاب تلك التحل وبادرت في تدريتها حتى اذا اطلع
عليها قوم من سكان تلك الاصقاع منن لهم فيها معرفة واسعة يزيدها تفصيلاً ان رآها
ناقصة ويقوم تقاتها ان رأى فيها اوداً وله من القراء الشكر الجزيل والابر الجليل

١ الصارلية (Les Sarlyeh)

١ (تعريفهم وموطنهم) الصارلية بصاد في الاول بعدها الف ويلى را.
ساكنة ثم لام مكسورة فيا. مشددة جيل من الناس لهم ديانة خصرية بهم لا يدن
بها غيرهم وهم مبثوثون في ارجاء الموصل وفي انحاء بعض البلاد الفارسية بما يلي تخوم
بلاد الدولة العلية. اما القرى التي ترطرها في ولاية الموصل فهي قرية «تل لبن»
و«بناطية» و«وكبرلي» و«خراب السلطنة» وكلها متجاورة واصل هؤلاء الناس
من بلاد ايران

٢ (لغتهم) ان لغتهم خليط من الكردية والفارسية والتركية. والصارلية الذين
يسكنون بجوار الموصل يحسنون ايضاً التكلم بالعربية

٣ (ديانتهم) ليس الصارلية فرقة من فرق الاديان الكبرى بل هي شعبة
قائمة برأسها واصحابها يوحدون الله ويؤمنون ببعض الانبياء ويقولون بالعراب الاربع اي
بالموت والبعث والجنة والنار. وهم لا يعمرن ولا يصلون ولا يسحرون بشي. من
ذلك لمن يروم تحريم هذه الثربات والطاعات. ومن غريب امرهم ان الجنة عندهم
تباع وتبتاع والمتصرف بيها شيخ واحد ليس له خطير بعده في الزرقة كلها جماعاً.
ويعتبه في هذا الكعب الاعلى ابنة البكر بعد وفاة والده. والبيع يكون بالأذرع وبموجب
الموطن الذي يريد الواحد ان يكون فيه في العليين ولا تعقل قيمة الذراع عن مائة بشلك
(وبالشلك ربع مجيدي) اما زمان هذه السرقة فهو اهان الحصاد. فيأتيهم الشيخ ويعرض

عليهم الجنة فيأتيه الواحد مثلاً ويشترى ذراعاً او ذراعين او غير ذلك حسب حاله من الثروة ثم يتقدمه المبلغ من ماعته فيكتب الشيخ كتاباً يقول فيه: « قد بعث فلان بن فلان من الجنة كذا من الأذرع وقد قبضت السن نقداً ». ثم يجتم الكتاب بجأته ويسلمه بيد المشتري. واذا اراد الصاوي ان يوسع ملكه في الآخرة فلا بأس من ذلك بشرط ان يعمل هذا الفعل في الموسم من قابل وان لا يشتري شيئاً بنسيئة. أما الصك فيحافظ عليه صاحبه ولا يحافظه على حياته. وعند موته يوضع في جيبه حتى اذا واني دار الخلود يقدمه للبواب المعروف باسم « رضوان » فللحال يدخله ويجلسه في المحل المتباع بدون حجاج او ترافع

وعلة تسميتهم بالصارلية « على ما يزعمون » ان اللفظة مأخوذة من قولهم: « صارت (الجنة) لي (بالاتباع) » فتحت وقيل للواحد « صارلي » وللجمع « صارلية » وغير خاف ما في هذا الزعم من الخطأ والوهم لانهم ليسوا من ابناء العرب ليحسنوا هذا التصرف باللغة وانما هم من ابناء فارس والتسمية فارسية مترجمة غير اني لم اقف على معناها

ومن شعائر دينهم ان هذا الشيخ يراي قومه مرة ثانية في رأس السنة القمرية فيعد كل رجل « متزوج » صاحب امرأة حية الى ذبيح ديك فيطبخه مع ارز او قمح او طعام آخر مما ليس فيه مرق وبعد ذلك يأتي به الى الشيخ فيضمه هذا على سفرة طويلة والديك وراء الديك الى ان يتم العدد فيأتي الرجال ومعهم نساؤهم فيجلس الرجال على الشق الواحد والنساء على الشق الآخر وقبل ان يبدؤا بتناول العشاء يهرم الشيخ فيعظهم ثم يصلي على الطعام ويباركه وبعد ذلك يأخذون بالاكل ويسمون هذا الغداء « اكلة الحجية » واذا فرغوا من ملء بطونهم ينهض الشيخ فيقول: « ان هذه الليلة هي ليلة عظيمة ومن عرف امرأته فيها فالمولود يكون مكرماً عند تالي ورفيع المنزلة » وبعد ان ينتهي من مثل هذا الكلام يأمر باطفاء السرج والأنوار وحينئذ تجري امور بينهم يألف القلم من تسطيحها. ألا انهم يزعمون ان ما يرويه الناس عنهم هي اكاذيب مختلفة لا حقيقة لها ولا سند. وهم يسمون هذه الليلة « ليلة الكفشة » واللفظة مشتقة من كشف بالناء اي قبض ومسك وسبب التسمية واضحة

ولا يجوز للشيخ عندهم ان يخلق شارباً او لحيته ولهذا ترى لحاهم اطول من

حلية التيس راذا أراد الركوب او السر طارها طيات وجهها في كيس له لهذه الغاية ولا ينشرها الا عند إلتاقه المعاص

وهم يبيحون الطلاق . والإضرار عندهم شائع . وصادق الابنة ويبلغ بعض الاحايين الف بشلك يأخذهُ ابرها

اما كتابهم الديني فلم استطع ان اعرف عنه شيئاً الا انه فارسي العبارة
ب (صناعتهم) لا صناعة لهم الا الفلاحة وتربية الغنم والمواشي

ب الباجوران (Les Badjoran)

١ (تعرفهم ومحل وجودهم) الباجوران بيا . في الاول يليها الف بعدها جيم
حركتها بين الفتحة والضمة ثم واو ساكنة يليها را . مفتوحة فالق فتون جيل من الناس
لهم دين خصوصي بهم يسمونه : « اللّاهي (Allàhy) » وهم منتشرون في القرى المجاورة
لولاية الموصل . ومن هذه القرى « عُتر كان » و « تيراخ زيارة » و « قل يعقوب »
و « بشيتا » وغيرها . ومن عزلا . من هم منتشرون في بلاد ايران وبالانحص في القرى
التاخمة للبلاد العثمانية . واصل ذنائبهم من البلاد النارية ايضاً

٢ (لقبهم) ان لقبهم وان كانت مزيجاً من اللغات الثلاث المعروفة في تلك
الاصقاع اي النارية والكردية والتركية الا انها لا تشبه بشي . لغة الصارلية وان كانت
هذه ايضاً مركبة من نفس هذه اللغات الثلاث كما مر بك . والباجوران الموجودون في
البلاد العثمانية يحسنون التكلم ايضاً بيرية تلك الديار

٣ (دينهم وبعض من شعائرهم) قد علمت ان لهم ديناً خاصاً بهم لا يدين
به غيرهم وهم يسمونه « اللّاهي » ولباب معتقدتهم انهم يوحّدون الله ويحجّون الانبياء
الا انهم يعظمون اسماعيل تعظيماً درنة تعظيم سائر الانبياء . ويستحلون شرب
المسكرات حتى ان ائمة مذهبهم لا يستكفون منها . ورواياتهم كثيرة وبكل رئيس
منوطة عناية ست أسرار سبع ومنها تجري عليه اذواقه . ولا يحق له ان يستزق من
الميال التي ليست تحت رعايته . والصوم عندهم حرام وهم لا يعرفون الصلاة ابداً .
الا ان لهم حفلة دينية غريبة في بابها تجري في بعض اعيادهم . وهي انه يوم يزدرد
فيه الرئيس رعيتهُ يعمد الرجل الى سلق سبع بيضات من البيض الغريض ابن يومه ثم

تُجمع يوض جميع تلك البيوت وتُجعل في الدار التي يتل فيها الرئيس فيأخذ هذا بتشير البيض واحدة واحدة وبعد ذلك يُخذل بيكين كل واحدة منها سبع خداعيل ويحملها في وعاء واحد ثم يشرب الحضور مكرراً وبعد ذلك يصلي الرئيس على البيض وهي الصلاة الوحيدة الموجودة عندهم ثم يقول ما معناه: « هذا البيض هو قربان اسماعيل فلا يجسرن الواحد منكم ان يدنو منه ويتناول شيئاً من ذلك ما لم يقرّ جهازاً بالاثم الذي اجترحه وبالذنايا والخطايا التي ارتكبا » فيعندئذ يعترف كل واحد من الجلوس بالخطية التي ركب مصلحتها من سرقة وقتل وزنى وحش وتجديف وكفر الخ وبعد ذلك يتقدمون الى تناول الطعام

ومن فرائض دينهم نذب الحسين في أيام العاشوراء وفي بدء تلك الايام يأخذون عدة اولاد يجرحونهم بمديرة فوق الرفق من الجانب الإنسي ويجولون بهم في البيوت ليتذكروا الحزان الحسين وارجاعه ثم يصرف الكفن هؤلاء بأنظمة مها كانت وبالاخص ينفجونهم بشي من الحبوب والقطاني فيأتي بها هؤلاء الى بيت معارم وفي النهار التاسع تُطبخ معاً جميع تلك الاطعمة ويسمون الحاصل من هذا الطبخ « سماً » فيوزعون منه على جميع الدور من التسكين بعروة دينهم

والطلاق عندهم جائز كما ان الاضرار (تعدد الزوجات) عندهم جار

اماً كتابهم الديني فليس له ذكر بين الناس

١ (صناعتهم) لا مهنة لهم سوى الزرع وتربية الضرع على حد ما يفعل

الصارية المتقدم ذكرهم

ج الشبك (Les Chabac)

١ (تعريفهم وموطنهم) قد جاء ذكر الشبك استطراداً (في المشرق ٢: ٣١٥) في الحاشية في الكلام عن اليزيدية) وهم جيل من الناس من عنصر كردي لا يعرف لهم دين خصوصي وهم منشئون في قرى عديدة منها: « علي رش » و « ينكيجا » و « خزنة » و « تلالرة » وقرى اخرى عديدة في اطراف جبل سنجار ومنهم من هم منتشرون في بلاد ايران على تخوم البلاد العثمانية

٢ (لغتهم) تختلف عن لغتي الجليلين المذكورين وان كانت هي ايضاً خليط

من الكردية والفارسية والتركية ويصرف اصحابها ايضاً اللغة العربية

٣ (ديانتهم وعواندهم) يوحّدون الله ويمجّبون علياً محبّة عظيمة ويسمونه «علي رشت» ولا يعرفون صوماً ولا صلاة بل يكرهون من كان منهم يفعل ذلك كل الكراهية وفي اغلب الأحيان يشاركون الزيدية في بعض حفلاتهم الدينية وفي زيارة مزاراتهم (راجع المشرق ٢: ٣٩٥). ولهم عادة دينية قبيحة منكورة وهي انهم يجتمعون في ليلة يعينها الرئيس في كل سنة عند مدخل مقبرة عظيمة سرّية يموتها في الاكل والشرب والقصف واللهو تُعرف عندهم «ليلة الكفشة» كما سماها الصارلية ويحتسبونها بارتكاب اشنع المنكرات ويمحضر تلك السنّة الذكور والاناث من صغار وكبار (راجع ايضاً المشرق ٢: ٧٣٢ وكتاب الفاضل فيقال كينه ص ٧٧)

ومن عواندهم ان الرجال منهم اذا تنازلوا الطعام يقبضون باليد اليسرى على شراييم ليرفعوها لكي لا تتلوّث بالطعام وباليد اليمنى يأكلون ولا يجوز لهم البسة حلق شراييم او لحاهم وجميع الملل تكره الشبك وقد اصطلح المسلمون في تلك الديار على تسميتهم بالعروج جمع أعوج لاعوجاج مذهبهم واذا خاطبوا الواحد منهم نادوه: «يا أعوج»

٤ (صناعتهم) الفلاحة وتربية المواشي

خاتمة في فصول عامة بين اصحاب هذه الاديان الثلاثة

ان هذه الاجيال الثلاثة وان تباينت اديانها واختلفت مذاهبها الا ان بينهم جامعة واحدة تجمع اصحابها وتأخذ برقايم وتسوقهم جميعاً الى عنصر واحد وهو العنصر الكردي في الاصل وعلى الاغلب وان كان بينهم عدد عديد من الفرس. وهذه الرابطة هي ملامح الوجه وتقاطيعه فانك ترى الباجوردان والصارلية والشبك كالکرد مقتولي الخلق شديد العزل طوال النجاد لطيفي الأطراف تُسر البشرة قُني الانوف ينلب على عيونهم الدُبة (لون بين السواد والحمر) وعلى شهورهم السواد. واستانهم يضاء برأفة متناسقة متضامة وافواهم واسعة صدورهم رحية وغير ذلك من الفصول المميّزة للاكراد وبالخصوص ينلب على اخلاقهم الحنّف والعُنف والمهجيّة والعنجهيّة على نوع لا تُرى الا في الاكراد وشرّ من ذلك انها معقودة بالحنف والضغينة اللتين تخفيهما المداينة وتظهرهما الغرّة حتى انه:

يلتاك والعل المصنّى يُجتني من قوله ومن النعال المقمّ